الكلمات الإسلامية؛ ابن السكيت في إصلاح المنطق أنموذجا

د. الطاهر نعيجة- جامعة قالمة

الملخص:

لقد كان لنزول القرآن الكريم باللغة العربية تأثير كبير في نهضة هذه اللغة، حيث أرتقت في صدر الإسلام إلى طورها الأعلى، حيث طلع الإسلام على العرب، وفي هدايته من المعاني ما لم يكونوا يعلمون، فعبّر عن هذه المعاني بألفاظ ازدادت بها اللغة ثراء ونماء، هذه الألفاظ التي فطن إليها القدماء فيما أسموه بالكلمات الإسلامية.

Abstract :

The revelation of the Koran in Arabic has had a significant impact in the renaissance of this language rising to its apogeeat the heart of Islam. Islam came to the Arabs, and in his guidance brought meanings they have never known before.It expressed these meanings through words that increased the richness and development of the language.These words, which the ancients discerned in what they called the Islamic words.

Résumé :

La révélation du Coran en arabe a eu un impact significatif dans la renaissance de cette langue atteignant son apogée au cœur de l'Islam. L'Islam est venu aux Arabes, et en ses conseils a apporté des significations qu'ils n'ont jamais connues auparavant. Il a exprimé ces significations à travers des mots qui ont augmenté la richesse et le développement de la langue. Ces mots, que les anciens ont discernés dans ce qu'ils appellent les mots islamiques.

فضل اللغة العربية في الإسلام:

إنّ اللغة العربية لها مكانة سامية ومنزلة رفيعة في نفوس المسلمين، في أشرف اللغات وأعلاها وأكملها وأيقاها لأنّها لغة القرآن الكريم ولسان سيد المرسلين، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[(1)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[(2)].

قال الإمام ابن كثير ت 774ه في تفسيره لهذه الآية: "وذلك لأنّ العربية أفصح اللغات، وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأديةً للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل، سيفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض وأبتدئ إنزاله في اشرف شهور السنة، وهو رمضان، فكملَ من كل الوجوه والعناية بها عناية بكتاب الله تعالى، ودراستها تعين –بتوفيق الله– على فهم كتابه الكريم وسُنّة رسول"[(3)].

قال الإمام الخطابي ت 388ه رحمه الله: "إنّ الله عزّ وجلّ لما وضع رسوله موضع البلاغ من وحيه، ونصبه منصب البيان لدينه، اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسن أفصحها وأبينها، ثم أمدّه بجوامع الكلم التي جعلها ردءًا لنبوته وعلمًا لرسالته"[(4)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ت 728ه رحمه الله: اللغة العربيّة من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهمان إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب"[(5)].

وقال الإمام الشاطبي ت 790ه رحمه الله: "إن هذه الشريعة المباركة عربيّة، فمن أراد تفهمها فمن جهة لسان العرب يُفهم، ولا سبيل إلى تطلّب فهمها من غير هذه الجهة"[(6)].

وقال الإمام المبارك مجد الدين بن الأثير ت 606ه: "معرفة اللغة والإعراب هما أصل لمعرفة الحديث وغيره، لورود الشريعة المطهرة بلسان العرب"[(7)].

وقال الثعالبي ت 429ه: "والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائلوالاحتواء على المروءة وسائر المناقب كالينبوع للماء، والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها وتصاريفها والتبحر في

جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة الذي هو عمدة الإيمان لا كفى بها فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين تمره"[8].

وقال السيوطي ت 911هـ: "ولا شك أنّ علم اللغة من الدين لأنه من فروض الكفايات، وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة، أخرج أبو بكر بن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: لا يُقرئُ القرآن إلا عالم باللغة... وقال الفارابي في خطبة ديوان الأدب: القرآن كلام الله وتنزيله، فصل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، مما يأتون ويذرون ولا سبيل إلى علمه، وإدراك معانيه إلّا بالتبحّر في علم هذه اللغة"[9].

أثر القرآن في نشأة الدرس اللغوي عند العرب:

لقد فصّل كثير من الباحثين في تأريخ الدرس اللغوي عند العرب وبخاصة عند تعرضهم لتاريخ النحو، وهم يرجعون نشأة هذا الدرس إلى انتشار اللحن نتيجة دخول شعوب غير عربية في الإسلام، أي أن الدرس اللغوي نشأ لحفظ القرآن الكريم من اللحن، والواقع أن السبب الأهم في نشأة هذا الدرس وتطوره إضافة إلى حفظ القرآن من اللحن هو السعي لفهم النص القرآني باعتباره مناط الأحكام التي تنتظم الحياة، ولو كانت الغاية من نشأة علوم اللغة عند العرب حفظ النص القرآني من اللحن فقط لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في مجال الدرس اللغوي، ومحاولة الفهم هذه هي التي حدّدت مسار المنهج، لأنها ربطت درس اللغة بكل المحاولات الأخرى التي تسعى لفهم النص القرآني، ولذلك فإننا لا نكاد نجد كتابًا في الفقه أو التفسير أو الأصول إلا وفي مقدمته بيان بما ينبغي على دارس أي من هذه العلوم أن يمتلك من أدوات الدرس وأولها علوم العربيّة، كما أننا لا نكاد نجد كتابا من كتب اللغة إلا وفيه تنبيه على الصلة بين درس اللغة والقرآن[10].

فالدرس اللغوي عند العرب نشأ في رحاب القرآن الكريم، لأن العلماء المسلمين توقفوا أمام النص المقدّس محاولين فهمه والتوصل إلى معانيه، وهذا لا يتأتى لهم إلّا بدراسة اللغة التي نزل بها، لذلك وجدنا علوما لغويّة كثيرة نشأت في رحابه، متخذة من آياته الكريمة نقطة الانطلاق ومن بينها معرفة معاني ألفاظه وإعرابه وقراءاته وسواها من العلوم اللغويّة[11].

كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: لمؤلفه أبو حاتم أحمد بن حمدان الورساني الليثي، فيلسوف ومتكلم إسماعيلي ت 322هـ.

ولعلّ كتاب "الزينة" يعد من الأعمال الناضجة في هذا المجال بل هو في الحقيقة يكاد يصل لدراسة كاملة في دلالة الألفاظ واستعمالها فيما عرف عند علماء اللغة المحدثين تحت اسم Semantics، إذ يحتوي هذا الكتاب على مصطلحات متعددة: بعضها ديني ورد في القرآن الكريم، وبعضها ورد في الأحاديث النبوية وهو هنا يمت بصلة قوية لصنيع أصحاب غريب القرآن وغريب الحديث، والبعض الآخر من هذه المصطلحات تردّد على ألسنة الفقهاء ورجال الدين وأصحاب المذاهب الكلامية والفلسفية، وهو هنا يمهد السبيل أمام أصحاب المعاجم الخاصة مثل الخوارزمي في مفاتيح العلوم وتهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون، وسواء كانت تلك الألفاظ الدينية أو الكلامية والفلسفية فإنها جميعا كانت قد اكتسبت دلالات حديثة تحتاج إلى تحديد وبيان ومما اختلفت فيه وجهات النظر فهي في مجموعها تكون عصب المعجم الجديد الذي نشأ في العربيّة وتطلب في استعمالها الحيطة والحذر والدقة معا(12).

وقد حاول أبو حاتم الرازي أن يتتبع هذا التطور الدلالي الذي طرأ على هذه الألفاظ في ضوء التطور الذي حدث في الحياة الفكرية والعقلية للمسلمين، وبالتالي حدّد منهجه فهو يبدأ أحيانا بتحديد أصل الكلمة واشتقاقها ثم يشرح مدلولها في العربية القديمة أو كما وردت في القرآن والحديث ثم يورد آراء اللغويين والنحويين في تحديد الصيغ والدلالات، ولكنه كان لا يراعي في أكثر الأحيان التسلسل الزمني: فقد يبدأ بالمدلول الإسلامي ويستشهد على ذلك بالقرآن والحديث قبل أن يحتج باللغة والشعر، يقول في مقدمة الكتاب: "هذا كتاب فيه معاني أسماء واشتقاقات ألفاظ وعبارات عن كلمات عربية يحتاج الفقهاء إلى معرفتها من ألفاظ العلماء وما جاء عن أهل المعرفة باللغة وأصحاب الحديث والمعاني واحتججنا فيه بشعر الشعراء الذين يحتج بشعرهم في غريب القرآن وغريب الحديث وفيا يوجد له ذكر في الشريعة من الأسماء وما في الفرائض والسنن والألفاظ النادرة(13).

أثر الإسلام في اللغة العربية:

لم تكن اللغة العربية قبل نزول القرآن وقبل الفتح الإسلامي إلّا لغة الأعراب المقيمين في شمال جزيرة العرب، ولكن بالإسلام والقرآن بدأت مرحلة جديدة في تاريخ هذه اللغة وهي ما زالت بعد تغادر موطنها الأصلي، بدأت تلك المرحلة في الفكر والعقل أولا ثم انعكس ذلك كله في اللغة إذ هي وعاء الفكر ودليله، يقول ابن فارس ت 395هـ: "كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث أبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله جلّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونُسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فعفى الآخر على الأول وشغل القوم بعد المغاوراتوالتجارات وطلب الأرباح والكدح للمعايش في رحلة الشتاء والصيف وبعد الإغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وبالتفقه في دين الله عز وجلّ، وحفظ سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الإسلام"(14).

ومن مظاهر أثر الإسلام في ألفاظ العربية:

1. أنّه اسقط ألفاظا من الاستعمال، يقول الجاحظ ت 255هـ: "ومن الكلام المتروك والتي زالت أسماؤه مع زوال معانيها المرباع والنشيطة وبقي الصفايا، فالمرباع ربع جميع الغنيمة الذي كان خالصًا للرئيس وصار في الإسلام الخمس على سنة الله تعالى وأمّا النشيطة فإنّه كان للرئيس أن ينشط عند قسمة المتاع العلق النفيس يراه إذا استحلاه وبقي الصفي، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مغنم"(15)،فعلى هذه الصورة أسقط الإسلام كلمات وتراكيب من العربية لم تعد تصلح للتعبير عن هذا الفكر الجديد، فالكلمة كما يقول دارمستتر Darmesteter"لا مبرر لوجودها إلا بما تقوله للعقل وعندما لا تقول الكلمة شيئا فإن اللغة تهملها(16)، وعلى ذلك لم تعد كلمات مثل: إتاوة، حلوان، مكس، المرباع، النشيطة، تعني شيئا لأنّ الإسلام غير من القيم الفكرية والاجتماعية للمجتمع الجاهلي، وبالتالي توقفت تلك

الكلمات عن الحياة بل إن الدّعاء "أبيت اللعن" وهو دعاء يتردد كثيرا في الشعر الجاهلي أصبح مهملا لأن الإسلام نهى عن التشاتم والتلاعن"[17].

جاء في لسان العرب:

- "وكلّ ما أُخذ بكرهٍ أو قسم على موضع من الجباية وغيرها إتاوة"[18].
- "والحلوان: أن يأخذ الرّجل من مهر ابنته لنفسه، وهذا عار عند العرب"[19].
- "والمكسُ: دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق الجاهلية"[20].
- "والمرباعُ: ما يأخذه الرئيس، وهو رُبْع الغنيمة"[21].
- "والنشيطة: ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل البلوغ إلى الموضع الذي قصدوه"[22].

2. وكما سقطت ألفاظ منالاستعمال نجد أيضا أنّ الإسلام عدل من دلالة بعض الألفاظ وأضاف إليها دلالات جديدة لم تكن شائعة الاستعمال، فقد ترك العبدُ أن يقول لسيده "ربي" وكذلك حاشية الملك أن يقولوا "ربنا": لأن دلالة كلمة "الربّ" اختلفت بعد الإسلام، وقد لاحظ أبو حاتم الرازي ت 322هـ الفرق بين دلالة كلمة "الرب" في الإسلام والجاهلية فقال عند تحليله للفظة "الرب": "الربُّ المالك والسيّد والربُّ في كلام العرب هو المالك، يقال هذا ربُّ الدار ورب الضيعة وربُّ المملوك ويقال ذلك في كل مالك لشيء... ولا يقال للمخلوق هو الربّ معّرفًا بالألف واللام كما يقال لله عزّ وجلّ بل يُعّرف بالإضافة فيقال ربُّ الدار وربّ البيت وغير ذلك"[23].

3. ولم يقف تأثير الإسلام عند حدّ إسقاط بعض الألفاظ والتراكيب من الاستعمال أو إضافة دلالات جديدة إلى ألفاظ عرفها العرب بل لقد استحدث نوعًا آخر من الدلالات أضافها أيضا إلى ألفاظ اعتاد العرب استعمالها على غير المعنى الذي جاء به الإسلام، ومن ثم نسخ معانيها القديمة ولم تعد تستعمل إلا في المعاني الإسلامية وأهم تلك الألفاظ ما اتصل بشعائر الإسلام وعباداته نظرا لأن الإسلام جدّد من دلالتها، قال ابن فارس ت 395هـ: "ومما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وإنّما عرفت العرب المؤمن من الأمان والإيمان هو

التصديق ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا كذلك الإسلام والمسلم وإنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والسّترة فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه وكان الأصل من نافقاء اليربوع ولم يعرفوا من الفسق إلا قوله فسقت الرطب إذا خرجت من قشرها وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله عز وجل ومما جاء في الشرع الصلاة واصله في لغتهم الدعاء وقد كانوا عرفوا الركوع والسجود وإن لم يكن على هذه الهيئة ومثل ذلك في ألفاظ الصيام والحج والزكاة"(24).

التعريف بابن السكيت:

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، عُرف بابن السكّيت لقب أبيه إسحاق. وهو بكسر السين وتشديد الكاف المكسورة؛ لأنّه كما يقول ابن خلّكان، كان كثير السكوت طويل الصمت(25)قال ياقوت : كان أبوه من أصحاب الكسائي عالما باللغة العربية والشعر، وكان يعقوب ابن السكيت يؤدب الصبيان مع أبيه في درب القنطرة بمدينة السلام حتى احتاج إلى الكسب، فاقبل على تعلم النحّو من البصريين والكوفيين، فاخذ عن أبي عمرو الشيباني والفراء وابن الأعرابي والاثرم. وروى عن الأصمعي وأبي عبيدة، واخذ عنه أبو سعيد السكري وأبو عكرمة الضبي وغيرهم. وكان عالما بالقران ونحو الكوفيين ومن اعلم الناس باللغة والشعر رواية ثقة ولم يكن بعد ابن الأعرابي مثله.

وكان يؤدب أولاد المتوكل وكان يميل في راية واعتقاده إلى مذهب من يرى تقديم علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وتروي كتب التراجم قصة مقتله فيقول ابن خلّكان: بينما هو مع المتوكّل يوما جاء المعتز والمؤيّد، فقال المتوكل: يايعقوب أيما أحب إليك ابناي هذان، أم الحسن والحسين؟ فغض ابن السكّيت من ابنيه وذكر من الحسن والحسين رضي الله عنهما ما هما أهله، فأمر الأتراك فداسوا بطنه، فحمل إلى داره فمات بعد غد ذلك اليوم، وكان ذلك في سنة 244هـ.

وكتبه كما يقول ابن خلّكان جيّدة صحيحة، منها غير إصلاح المنطق:

- الألفاظ: نشره الأب لويس شيخو.

- الأضداد : نشر في مجموعة من كتب الأضداد في بيروت بعناية المستشرق اوغست هفنر.
- القلب والإبدال: نشره اوغست هفنر، وحققه الدكتور حسين شرف، ونشره مجمع اللغو العربية بالقاهرة.

ومن الألفاظ التي ذكرها ابن السكيت وتطورت دلالتها فيما يعرف بالألفاظ الإسلامية قوله:

النفاق: "والنّفَقَةُ من جحرةِ اليَرْبُوعِ"[(26)].

فقد تجردت هذه اللفظة (النفقة) واسم الفاعل منها المنافق من معناها العامّ القديم، وأصبحت تدل على معنى خاص يتصل بالعبادات والشعائر، قال ابن قتيبة: "النفاق: مأخوذ من نافقاء اليربوع، وهو جحر من جحرته يخرج منه... وكذلك المنافق يدخل في الإسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد... والنفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب قبل الإسلام تعرفه"[(27)].

وحلل ابن فارس دلالة الكلمة فقال: "النفقُ سِرْبٌ في الأرض، له مخلص إلى مكان، والنافقاء موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أتي من قبل القاصعاءضرب النافقاء برأسه، فانتفق أي خرج... ومنه استفاق النفاق: لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاءٍ"[(28)]، فابن السكيت أشار إلى الدلالة الأصلية القديمة لكلمة (النفاق) وهي نافقاء، اليربوع، ولم يذكر الدلالة الإسلامية الجديدة ربما لكونها معروفة وأشهر من نار على علم.

الضلال: يُقال: ضَلَلتَ يا فلان فأنت تَضِلُ ضلالًا وضلالةً، قال الله جل وعز: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ فهذه لغة أهل نجد، وهي الفضيحة، وأهل العالية: ضَلِلتَ أَضَلَ"[(29)].

يذكر ابن السكيت تطور الدلالة الإسلامية لكلمة (الضلال) وهو الجور عن القصْد والباطل والأصل في المعنى القديم هو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه، ويذكر أن في كلمة (الضلال) لغتان: ضَلَّ يَضِلُّ لهجة أهل العالية، وضَلَ يضَلّ بفتح الضاد لهجة أهل نجد وهي الفضيحة، قال ابن فارس: "الضاد واللام، أصل واحد يدل على

معنى واحد، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقّه، يقال: ضَلَّ يَضِلّ ويَضَلّ لغتان، وكلّ جائر عن القصد ضال، والضلال والضلالة بمعنى ورجل ضلّيل ومَضَلَّلُ إذا كان صاحب ضلال، وباطل، وممّا يدلّ على أن أصل الضلال ما ذكرناه قولهم: أُضَلَّ الميت إذا دُفِنَ، وذاك كأنه شيء قد ضاع"[30].

ومنه أيضا: "**ورَجُلٌ أُمَنَةٌ: يثق بكل أحد**"[31].

فمادة هذه الكلمة هي الهمزة والميم والنون، وقد وجه ابن السكيت انتباه العامة إلى الدلالة الأصلية القديمة، فالأمين بمعنى القوي لأنّه يوثق بقوته ويؤمن ضعفه[32]، ومن معنى القوة أصبح يدل اللفظ على الأمان والطمأنينة، فيقال أنت في أمن من ذلك أي في أمان، والأمن هنا ضد الخوف، أي طمأنينة النفس وزوال الخوف، وجاء الإسلام ليوسّع في دلالة الإيمان من ناحية، ويخصص الدلالة من ناحية أخرى، فهي بمعنى الشريعة أو الإسلام، وهي أيضا بمعنى الصلاة، وهي دلالات لم يكن للفظ قبل الإسلام، لأنّ العرب لم تكن تعرف الإيمان إلّا من الأمن، وقد جاء لفظ المؤمن كاسم من أسماء الله الحسنى قال أبو حاتم: "المؤمن أصله من الأمان كأنه آمن عباده أن لا يظلمهم أي أعطائهم الأمان على ذلك لأنه العادل في حكمه لا يظلم خلقه ولا يجور عليه"[33].

ولكن ابن فارس يقول: "الإيمان هو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط وأوْصاف بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا"[34]وهنا نلاحظ أن معنى التصديق في المادة جاء من الأمان، لأن التصديق جزء من الطمأنينة ودليل عليها.

وقد استثمر الإسلام دلالة التصديق في المادة فأكثر عليها، وفي ذلك يقول الرّاغب الأصفهاني: "وأصل الأمان من طمأنينة النفس وزوال الخوف"[35].

فكلمة (الإيمان) من الكلمات الإسلامية، يقول الراغب أن كلمة الإيمان تستعمل تارة اسمًا للشريعة وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ﴾[36].

ولهذا سمي كل من يدخل شريعة الإسلام (مؤمن) وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح[37].

أمّا الاستعمال الثاني، فهو استعمال الإيمان بمعنى الصلاة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[38]، أي صلاتكم[39].

الكفر:"والكفر: مصدر كفرتُ الشيء، إذا غطيته وسترته...، ويقال: رماد مكفور، إذا سفت عليه الريح التراب فوارته... ومنه سمي الكافر كافرا لأنه يستر نعم الله"[(40)].

فدلالة الكلمة الجاهلية هي السّتْر والتغطية، وهو المعنى الذي أكد على صحته وصوابه.

بقوله: "ويقال: رمادٌ مَكْفُورٌ... قال الأزهري: وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه"[(41)]، ثم جاء المعنى الإسلامي وهو الجَحْدُ والإنكار، قال الراغب الأصفهاني: "وكُفْرُ النِعْمَةِ وكُفْرانُهَا: سترُها ليترك أداء شكرها... ولما كان الكفر يقتضي جحود النعمة صار يُستعمل في الجحودِ"[(42)].

وقد استعمل الإسلام اللفظة بدلالتين هما الكفر بمعنى نقيض الإيمان مطلقًا، ثم بمعنى مخالفة دين الإسلام، قال أبو حاتم الرازي: "وإنما سمي من خالف دين الإسلام كافرًا: لأن الله عز وجل بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم وقد كانت الأنبياء قبل مبعثه قد بشروه به وذكروه في كتبهم، ودلّوا عليه حتى عرفه أهل الكتاب، فلّما جاءهم كتموا ما عرفوا وستروه، وهؤلاء أوّل من لزمهم اسم الكفر، ثم سمي به كل من أنكر نبوة محمد"[(43)].

ومن ناحية أخرى أن الله قد أنعم عليهم بالإسلام فكفروا بنعمته، فدلالة لفظ (الكفر) على أحد هذين الأصلين: أي مخالفة دين الإسلام، وجحد الشريعة النبوية، دلالة أضيفت إلى اللفظ بعد الإسلام.

التيمم: "وأصل التيمم القصد... حتى صار التيمم مسح الوجه واليدين بالتراب"[(44)].

وقد التفت اللغويون إلى التطور الدلالي الواقع في هذه الكلمة، فالأصل القصد، وقد جاء في مأثور الحديث: فيممتُ بها التنور، والمعنى المتعين القصد[(45)]، ومما جاء بالمعنى المتقادم في قول الحق تبارك وتنزه:﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[(46)]، والمعنى أقصدوا الصعيد الطيب[(47)]، ولكن بواعث التطور الدلالي أفضت إلى تخصيص هذه الدلالة وصيرورة هذه الكلمة من مصطلحات الشريعة، وقد جاء في المعجم العربي عبارة دالة على استشرافهم التطور الدلالي ومفادها: "ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم أسما علما لمسح الوجه واليدين بالتراب، ابن سيده: التيمم: التوضؤ بالتراب...

وأصله من الأول لأنه يقصد التراب فيمسح يه"[48]، وقال ابن فارس: "فصار التيمم في أفواه العامة فعلا للتمسح بالصعيد حتى يقولوا: قد تيمم فلان بالتراب"[49].

الزكاة:"ويقال مليء زكاءُ أي عاجل النقد، وقد زكا العمل يزكو زكاءُ"[50].

زكا يزكو زكاءً وزُكوًا: نما، وقد زكاه الله وأزكاه، والزكاء: ما أخرجه الله من التمر وأرض زكيّة طيبة[51]، والزكاة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾[52]، هي زكاة المال، ولم تكن معروفة قبل ذكرها في القرآن الكريم، ومعناها التطهير، والفعل منها: زكّى يزكي تزكيّة إذا أدى عن ماله زكاته، والزكاة من الأسماء المشتركة بين المخرج والفعل، فيطلق على العين، وهي الطائفة من المال المزّكى بها، وعلى المعنى وهي التزكيّة، قال في اللسان: "ومن الجهل بهذا البيان أتى من ظلم نفسه بالطعن على قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ ذاهبا إلى العين وإنما المراد المعنى الذي هو التزكية والزكاة طهرة للأموال، وفي حديث الباقر انه قال: "زكاة الأرض يبسها، يريد: طهارتها من النجاسة كالبول وأشباهه بأن يجف ويذهب أثره"[53].

الصوم:"وقوم صوّم وصيّمٍ"[54].

صام يصوم صومًا وصيام، والصوم في اللغة: الإمساك عن الشيء مطلقا، ومنه صامت الريح: أمسكت عن الهبوب، وصامت الفرس: أمسكت عن العدو، ومن معاني الصوم أيضا السكوت عن الكلام، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾[55]، أي سكوتا لقوله تعالى: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[56]، والصوم في الإسلام: هو ترك الطعام والشراب والنّكاح من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، جاء في معجم المصطلحات الإسلامية: "صوم: صام يصوم صومًا وصيامًا، هو مطلق الإمساك في اللغة، ثم استعمل في الشرع في إمساك مخصوص، وكل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم"[57]، وجاء في اللسان: "وفي الحديث الشريف: قال النبي صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلّا الصوم فإنه لي، قال أبو عبيدة: إنما خصّ الله تبارك وتعالى الصوم وهو يجزي به، وإن كانت أعمال البرّ كلها له، وهو يجزي بها لأن الصوم ليس يظهر من ابن آدم بلسان ولا فعل فتكتبه الحفظة، إنما هو نية في القلب وإمساك عن حركة المطعم والمشرب"[58].

الحج:"لا أفعله ما دعا الله داع، وما حج لله راكب"[59].

في معجم لسان العرب يقال: "حجّة يحجّه حجًّا، وقال سيبويه: حجّه يحجه حجًّا بكسر الحاء، كما قالوا ذكره ذكرًا"[60]فالحج في اللغة معناه القصد، يقال حجّه يحجةقصده، وحججت فلانا أي قصدته، ورجل محجوج أي مقصود، وقد حج بنو فلان فلانًا إذا أطالوا الاختلاف إليه، هذا هو الأصل في الحج، جاء في معجم المصطلحات الإسلامية: "حجّ حجًّا من باب قتل: قصد، فهو حاج هذا قصر ثم تغير استعماله على قصد الكعبة للحج أو العمرة، ومنه يقال: ما حجّ ولكن دجّ، فالحج القصد للنسك، والدج القصد للتجارة"[61]، فالحج في الإسلام كما يقول صاحب اللسان: "القصد إلى مكة للنسك، والحج إلى البيت خاصة تقول حجَ يَحُجُّ حجًّا، والحجّ: قصد التوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضًا وسنةً وجاء في التفسير أنّ النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس فأعلمهم أنَّ الله قد فرض عليهم الحج، فقام رجل من بني أسد فقال: يا رسول الله أفي كل عام؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعاد الرجل ثانية، فأعرض عنه، ثم عاد ثالثة، فقال عليه الصلاة والسلام: ما يؤمنك أن أقول نعم، فتجب، فلا تقومون بها فتكفرون، أي تدفعون وجوبها لثقلها، فتكفرون، وأراد عليه الصلاة والسلام: ما يؤمنك أن يوحي إليّ أن قل: نعم فأقول"[62].

وجملة القول إنه كان للإسلام الأثر في اللغة العربيّة، وكان له الأثر الأكبر في نمو لغتنا وإثرائها، وما الألفاظ أو ما يعرف بالكلمات الإسلامية إلّا خير شاهد على ذلك.

الهوامش:

(1) قرآن كريم: سورة الشعراء، الآية: 193– 195.

(2) قرآن كريم: سورة يوسف، الآية: 02.

(3) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، 1407هـ، ج2، ص 1438.

(4) الخطابي: غريب الحديث، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، جامعة أم القرى بمكة، ط1، 1402هـ، ج1، ص 64.

(5) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق ناصر العقل، دار العاصمة بالرياض، 1418هـ، ج1، ص 470.

(6) الشاطبي: الموافقات، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص 64.

(7) ابن الأثير: جامع الأصول، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1، ص 37.

(8) أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 2.
(9) جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها تحقيق محمد جاد المولى بك وبخرون، المكتبة العصرية، بيروت، 1987، ج2، ص 302..
(10) عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربيّة، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1979م، ص 34.
(11) محمود سليمان ياقوت: فقه اللغة وعلم اللغة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1993م، ص 91.
(12) حلمي خليل: المولد في العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1987م، ص 278.
(13) أبو حاتم الرازي: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق حسين ابن فيض الله الهمذاني، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1957، ج1، ص 56.
(14) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة مدران، بيروت، 1965، ص 175.
(15) الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى الباي الجلي، القاهرة، ط1، 1938، ج1، ص 297.
(16) Darmesteter: La vie des mots dons Cuers signitieactons, de la grée, paris, p 154.
(17) علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د ت، ص 121.
(18) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق أحمد عامر حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، مادة (أتى).
(19) المصدر نفسه، مادة (حلا).
(20) المصدر نفسه، مادة (مكس).
(21) المصدر نفسه، مادة (ربع).
(22) المصدر نفسه، مادة (نشَط).
(23) أبو حاتم الزري، الزينة، ج2، ص 27.
(24) ابن فارس، الصاحبي، ص 79– 81.
(25) أنظر ترجمته في:

– أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية، القاهرة ط1، 2003م، ص129.

– ابن النديم: الفهرست، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م، ص325.

– أبو البركات الأنباري: نزهة الإلباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة،1998م، ص159.

–الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، د ت ، ص202.

(26) ابن السكيت: إصلاح المنطق. تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط4، ص 430.

(27) ابن فتية: تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد احمد صقر، دار إحياء للكتب الوطنية، القاهرة، 1975، ص 29.

(28) ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1999، مادة (نفق).

(29) ابن السكيت: إصلاح اللغة، ص 216.

(30) ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (ضلل).

(31) ابن السكيت: إصلاح المنطق، ص 428.

(32) الزبيدي: تاج العروس، تحقيق عبد القادر فراج وآخرين، مطبوعات حكومة الكويت، 2002، مادة (أمن).

(33) أو حاتم الرازي: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، ج2، ص 70.

(34) ابن فارس: الصاحبي، ص 79.

(35) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، المطبعة الميمنية لمصر، القاهرة، 1324هـ، ص 24.

(36) قرآن كريم: سورة الحج، الآية 17.

(37) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 25.

(38) قرآن كريم: سورة البقرة، الآية، 143.

(39) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 25.

(40) ابن السكيت: إصلاح المنطق، ص 126– 127.

(41) ابن منظور: لسان العرب، مادة (كفر).

(42) الراغب الأصفهاني: المفردات، ص 443.

(43) أبو حاتم الرازي: الزينة، ص 176.

(44) ابن السكيت: إصلاح المنطق، ص 315.

(45) ابن منظور: لسان العرب، مادة (أتمم).

(46) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية، 43.

(47) الراغب الأصفهاني: المفردات، ص 613.

(48) ابن منظور: لسان العرب، مادة (أمم).

(49) ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (أمم).

(50) ابن السكيت: إصلاح المنطق، ص 157.

(51) ابن منظور: لسان العرب، مادة (زكا).

(52) القرآن الكريم، سورة المؤمنون، الآية 04.

(53) ابن منظور: لسان العرب، مادة (زكا).

(54) ابن السكيت: إصلاح المنطق، ص 157.

(55) القرآن الكريم، سورة مريم، الآية، 26.

(56) القرآن الكريم، سورة مريم، الآية، 26.

(57) رجب عبد الجواد إبراهيم: معجم المصطلحات الإسلامية، دار الآفاق، القاهرة، ط1، 2008، ص 181.

(58) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صوم).

(59) ابن السكيت: إصلاح المنطق، ص 393.

(60) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج).

(61) رجب عبد الجواد إبراهيم: معجم المصطلحات الإسلامية، ص 56.

(62) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج).